الفصل الرابع

١. الشيطان
٢. أحقًّا قال اللّٰه؟
٣. أين أنت؟
٤. الموت.

١ . الشيطان

انتهى الله من عمليَّة الخلق وقال إنَّ ما صنعه «حَسَنٌ جِدًّا». وهكذا، كان كل شيءٍ مُنظَّماً ومُرتَّباً، ولم يكن هناك ألم، ولا أمراض، ولا صراع من أجل بقاء الأصلح والأقوى، ولا خلافات، والأهم من ذلك كُلِّه هو أنه لم يكُن هناك موت! كذلك، كانت هناك علاقة، وشركة، وصداقة قويَّة تربط بين الله والإنسان. وكانت جَنَّة عَدْن مكاناً رائعاً للعيش، وكان كل شيءٍ على ما يُرام.

لكننا نُعاني في أيامنا هذه من الآلام، والأمراض، وبقاء الأصلح! وأحياناً تكون أمنيتنا الوحيدة هي أن تكون الخلافات الكلاميَّة هي مُشكلتنا الوحيدة نحن البشر. لكن للأسف الشديد، فإنَّ الحروب المُدمِّرة تكتسح العديد من دول العالم، والأقوياء يسحقون الضُعفاء، والمُجتمعات تُعاني من إساءة استخدام المسئولين للسُّلطة سواء داخل العائلة أو في المؤسسات المُختلفة، وكل الأشياء من حولنا تتهاوى وتتعطَّل وتتلف! وهكذا، فقد باتت الحياة بأكملها – بدءاً بمملكة الحيوان وانتهاءً بممالك البشر – عبارة عن سلسلة متواصلة من النزاع والصراع لدرجة أنَّ العالم لم يَعُدْ مكاناً آمناً للعيش! فما الذي حدث يا تُرى؟

لوسيفر

يرجع السبب في ذلك كُلِّه إلى جَنَّة عَدن حيث يقول الكتاب المقدَّس عن لوسيفر إنه كان موجوداً هناك:

«كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ ...» (حزقيال ٢٨: ١٣)

لقد ذكرنا سابقاً أنَّ لوسيفر كان أقوى الكائنات الروحيَّة التي خلقها الله، وأنَّ اسمه يعني «كوكب الصُّبح». وينتمي لوسيفر إلى الرُتبة الملائكيَّة التي تُدعى «كروبيم»، وقد اختاره الله للقيام ببعض المسئوليَّات الخاصَّة التي جعلته يَمْثُل دوماً في محْضَر الله.

«أَقَمْتُكَ حارِساً يَحْرسُ جَبَلَ اللهِ المُقَدَّسِ ...»

(حزقيال ٢٨: ١٤ بحسب الترجمة العربية المُشتركة)

كذلك، كان لوسيفر كاملاً. كما أنه يوصف في الكتاب المقدَّس بأنه كان يتمتَّع بجمالٍ وذكاءٍ فائقين:

«أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمِ خُلِقْتَ ...» (حزقيال ٢٨: ١٥)

«... أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ» (حزقيال ٢٨: ١٢)

و مع أنَّ لوسيفر كان أقوى ملاك خلقه الله، إلاَّ أنه لا يوجد ما يُشير في الكتاب المقدَّس إلى أنه كان يُهيمن على الكائنات الروحيَّة الأخرى.

الكبرياء

لا نعرف متى وقع الحدث التالي تحديداً؛ لكن من المُرجَّح أنه حدث بعد وقتٍ قصيرٍ من انتهاء عمليَّة الخلق. ورغم أنه يوجد اختلاف في الآراء حول الوقت الذي وقع فيه ذلك الحدث، إلاَّ أنَّ ما حدث كان واضحاً تمام الوضوح. فالكتاب المقدَّس يقول إنَّ لوسيفر أصبح

مُتكبِّراً بسبب جماله وقوَّته. كذلك، فقد أصبح لوسيفر طَموحاً أكثر ممَّا ينبغي حيث يذكُر الكتاب المقدَّس خمسةً من أقوال لوسيفر التي تُشير إلى كبريائه وطموحه! ويمكننا القيام بدراسة كاملة حول هذه الأقوال؛ لكن يكفينا هُنا أن نقول إنَّ لوسيفر أراد أن يقوم بثورةٍ ضدَّ الله.

* ملحوظة: كلمة «العَلِيّ» هي من أسماء الله.

كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ:
أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ؛
أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ أو ملائكة اللهِ؛
أَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ.
أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ؛
أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ* (إشعياء ١٤: ١٢-١٤)

لكنَّ لوسيفر لم يكن راغباً في الاستيلاء على السماء فحسب، بل قَرَّر أن يكون مثل الله العليِّ. وباختصار شديد، فقد كان لوسيفر عازماً على إحداث انقلاب في السماء لكي يجلس مكان الله، ويُصبح قائداً على جميع الملائكة وحاكماً للكون! وهكذا، فقد كان قلب لوسيفر مُمتلئاً بالطموح والكبرياء الزائدين!

كانت الثغرة الوحيدة في خطَّة لوسيفر هي أنَّ الله يعرف تفاصيلها الدقيقة! فالله مُطْلَق العلم ولا يُمكن أن تخفى عنه أفكار لوسيفر. ويأتي التعالي أو الكبرياء في رأس قائمة الأشياء التي يُبغضها الله حيث نقرأ في الكتاب المقدَّس:

«هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِهِ: عُيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ، ...» (أمثال ٦: ١٦، ١٧)

كان لوسيفر يسير بعكس خطَّة الله له بصورة مُتعمَّدة ومقصودة! ويجب علينا أن نتذكَّر هنا أنَّ الله لم يخلق الملائكة ككائنات آليَّة؛ بل جعلها حُرَّة الإرادة. وقد كان الخَيار الذي اتخذته الملائكة بأن تخدم الله هو تعبيرٌ منها عن خضوعها الطوعي لسيادة الله. لكنَّ لوسيفر لم يَعُد قانعاً بأن يبقى ملاكاً؛ بل كانت لديه خطط أكبر وأفضل لنفسه! وهكذا، فقد أصبح مُتكبِّراً واختار أن يتمرَّد على الله. وبهذا، فقد احتقر خالقه. واحتقار شخصٍ ما يعني تصغيره، والحَطّ من قَدْره، والانتقاص من مكانته، والنظر إليه بازدراء.

وما من شَكٍّ أنَّ الله اعتبر موقف لوسيفر هذا خطيَّة.

الدينونة

حيث أنَّ الله كامل، لم يكُن بمقدوره أن يتغاضى عن خطيئة لوسيفر كما لو كانت أمراً تافهاً. فالكمال يقتضي بطبيعته عدم وجود أي نقصٍ أو شائبة. وسوف نرى هذه الحقيقة مراراً وتكراراً أثناء دراستنا للأسفار النبويَّة.

ومن بين الحقائق التي ينبغي علينا أن نفهمها عن الله هي أنه بما أنَّ الله بارٌّ فلا يُمكنه أن يحتمل الشَرَّ؛ وبما أنه قُدُّوسٌ فلا مكان للخطيَّة عنده؛ وبما أنه بلا خطيَّة فلا يُمكنه أن يسمح للخطيَّة بالتواجُد في محضره.

وهذه الحقائق عن الله هي قوانين ثابتة مثل باقي القوانين الطبيعيَّة الأخرى التي تحكُم هذا الكون. لهذا، فقد كان رَدُّ الله على خطيَّة لوسيفر سريعاً ومُباشراً حيث قام بطرده من

منصبه في الجنَّة.

«... أَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ. قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ. سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ ...» (حزقيال ٢٨: ١٦، ١٧)

لكنَّ لوسيفر لم يخرج من هناك بدون معركة. فقد كان ما زال كائناً قوياً. وفوق هذا كُلِّه فقد تبعته أعداد كبيرة من الملائكة. ويُقدِّم لنا الكتاب المقدَّس بعض التفاصيل الدقيقة عن ما جرى هناك. ولمساعدتك، صديقي القارئ، على فهم الآيات بصورة واضحة، فقد وضعنا إطاراً حول بعض الكلمات التي تربط النص معاً:

«وَظَهَرَتْ آيَةٌ أُخْرَى فِي السَّمَاءِ: هُوَذَا تِنِّينٌ عَظِيمٌ أَحْمَرُ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ سَبْعَةُ تِيجَانٍ. وَذَنَبُهُ يَجُرُّ ثُلْثَ نُجُومِ السَّمَاءِ فَطَرَحَهَا إِلَى الأَرْضِ. ...
وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ،
فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ» [١]

(رؤيا ١٢: ٣–٤، ٧–٩)

إبليس، الشيطان، الأرواح الشرِّيرة

تُشير الآيات إلى أنَّ ثلث الملائكة انضمَّت إلى لوسيفر في تمرُّده ضدَّ الله. وقد أصبح لوسيفر يُعرَف بإبليس أو الشيطان. وكما أنَّ أسماء الله تُعبِّر عن صفاته؛ كذلك فإنَّ أسماء لوسيفر تُعبِّر عن شخصيَّته وصفاته. فكلمة «شيطان» تعني الخصم أو العدو. وكلمة «إبليس» تعني المُتَّهم زوراً أو المُفتري. أمَّا الملائكة التي تبعت الشيطان فأصبحت تُعرَف باسم الشياطين أو الأرواح الشرِّيرة.

بُحيرة النار

حينما قام الله بطرد إبليس وأعوانه من الجنَّة، لم تكُن تلك سوى المرحلة الأولى من دينونة تلك الأرواح المُتمرِّدة. فالكتاب المقدَّس يقول إنَّ الله أعَدَّ مكاناً للدينونة الأخيرة لها:

«... النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (مَتَّى ٢٥: ٤١)

يُشار عادةً إلى هذا المكان ببُحيرة النارَ. وكلمة الله تقول لنا إنَّ الشيطان ليس موجوداً هناك حتَّى الآن. فرغم أنَّ الله طرده من السَّماء، إلاَّ أنه لم يطرحه بعد في بُحيرة النار. لكن فيما بعد، سوف يُطرح إبليس وأعوانه في مكان العقاب الأبدي هذا بعد الكثير من الأحداث المُتعلِّقة بهم. ويتحدَّث الكتاب المقدَّس عن هذا الوقت المُستقبليِّ فيقول:

«وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ،... وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤيا ٢٠: ١٠)

الحرب

رغم أنَّ الله طَرَد الشيطان وأعوانه من محضره، إلاَّ أنَّهم احتفظوا بقوَّتهم الهائلة وذكائهم الخارق. وهكذا، فقد أصبحوا أعداء لله العليِّ وراحوا يشنُّون حرباً شاملةً على الله، وعلى كل شيءٍ صالح، وعلى كل ما يُخطِّط الله للقيام به، وعلى كل شيءٍ يُؤيِّده الله! وكما سنرى لاحقاً، فقد عقد الشيطان العزم على خوض حربٍ قذرةٍ يستخدم فيها كل الأسلحة والأساليب والاستراتيجيَّات دون استثناءٍ.

٢ . أحقَّاً قال الله؟

حينما خَلَق الله الإنسان، لم يضعه على سطح الأرض فحسب؛ بل إننا نقرأ في كلمة الله أنَّ الله قام بزيارة آدم وحوَّاء في الجنَّة. ونفهم من طريقة الحديث عن هذا الأمر أنَّ تلك الزيارات كانت شيئاً دائماً ومُنتظماً. وهكذا، فقد كان آدم وحوَّاء يتمتَّعان بعلاقة حميمة مع خالقهما ومالك حياتهما، وكان الله يُسدِّد كل احتياجاتهما دون استثناء.

المُضِلّ

تسلَّل الشيطان إلى الجنَّة بكُل دهاء ومَكر دون أن يُعلن لآدم وحوَّاء عن شخصيَّته الحقيقية أو خططه الشرِّيرة. لهذا فإنَّ الكتاب المقدَّس يقول عنه بأنه مُضِلٌّ ومُخادعٌ كبير لأنه لا يستطيع أن يقول الحقيقة كما هي دون تشويهها:

«... إِبْلِيسُ ... ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يوحنا ٨: ٤٤)

إنَّ كلمة «كذب» في اللغة اليونانيَّة الأصليَّة التي كُتب بها العهد الجديد تعني الكذب الواعي والمُتعمَّد. وتُستخدم الكلمة نفسها لوصف الأشياء المُقلَّدة؛ أي الأشياء الزائفة وغير الأصليَّة لأنها تُشبه الأشياء الأصليَّة في الشكل الخارجي فقط لكنها لا تتمتَّع بنفس جودتها.

قبل بضع سنوات، كُنت أقرأ مقالاً عن الشيطان في إحدى المجلَّات حيث تمَّ تصويره بأنه يمتلك جسماً أحمر اللَّون، وقروناً فوق رأسه، وذَنَباً رفيعاً، وأنه يحمل شوكةً في يده. وفي الحقيقة أنَّ الصورة الإجماليَّة كانت بشعة جداً. لكن بحسب ما يقوله الكتاب المقدَّس فإنَّ تلك الصورة لم تكُن صحيحة على الإطلاق حيث تقول كلمة الله:

«... لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!»

(٢ كورنثوس ١١: ١٤)

وهكذا، فإنَّ الشيطان يأتي بكل بهائه وعظَمَته مُحاولاً تقليد الله قدر الإمكان. وربما تكون الصورة الأقرب لإبليس هي أنه يُشبه الملاك النوراني أو الرجل الذي يرتدي أفخر ثياب رجال الدين ويتكلَّم بمعسول الكلام. فالشيطان يُحبُّ التديُّن، ويبرع في تقليد الحقيقة. رغم ذلك لا يمكننا أن نثق به لأنه مُخادع بطبيعته ويتعمَّد قول الأكاذيب.

أنا مُتأكِّد أنَّ الشيطان كان مسروراً للغاية بذلك الرسم الذي يُظهره بصورة بشعة. فسوف يكون من الأسهل عليه أن يخدع الناس إن كانوا يجهلون شكله الحقيقي. كما أنه من المؤكَّد أنه كان مسروراً جداً ببعض الأشياء التي قيلت عنه في تلك المقالة مثل أنه لم يعُد أحد يؤمن بوجود الشيطان! وبالطبع، ما من شيءٍ أفضل بالنسبة للشيطان من أن يقتنع الناس بأنَّه مُجرَّد أُسطورة!

الخدعة

وصل الشيطان إلى جنَّة عدن بكل مكر ودهاء دون أن يُعلن عن شخصيته الحقيقية. وفي الحقيقة أنه جاء بهيئة حَيَّة. والحيَّة هيَ إحدى الزواحف التي يُعرف بها الشيطان في كثير من الأحيان. وقد أورد الكتاب المقدَّس العديد من القصص عن أشخاص أو حيواناتٍ سكنت فيهم الأرواح الشرِّيرة وراحت تتحدَّث من خلالهم أو تجعلهم يتصرَّفون بطريقةٍ غير طبيعية. وفي هذه المَرَّة، تحدَّث الشيطان من خلال الحيَّة وخاطب حوَّاء:

«وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» (تكوين ٣: ١)

لم تشعر حوَّاء بالخوف أو الهلع حينما سمعت الحيَّة تتكلَّم! فمن المؤكَّد أنَّ حوَّاء كانت تكتشف في كل يوم شيئاً جديداً مُدهشاً ورائعاً من خليقة الله. وربما ظَنَّت أنَّ وجود حَيَّة تتكلَّم هو مُجرَّد شيءٍ جديد آخر من بدائع خَلق الله. لكنَّنا لا نعرف حقيقة ما جرى!

الشَكّ

على أيِّ حال، جاء الشيطان إلى حَوَّاء وطرح عليها سؤالاً يتعلَّق بالله. وفي الحقيقة أنه زرع في عقلها شيئاً لم تُفكِّر به من قَبل ألا وهو أنه يمكن للمخلوق أن يستجوب الخالق! وقد جاء السؤال بأسلوب لطيف: « أَحَقًّا قَالَ الله ...؟»

وهكذا، فكأنَّ الشيطان قال لحوَّاء: «لا بُدَّ أنك تمزَحين؛ هل حقًّاً قال الله ذلك؟» وبهذا، فقد كان يُلمِّح إلى أنَّه من السذاجة أن يقبل الإنسان كل ما يقوله الله دون تفكيرٍ أو تمحيص. وقد كان المنطق الذي تحدَّث به الشيطان مع حَوَّاء يقوم على الفكرة التالية:

«رُبَّما كان الله يُخفي شيئاً صالحاً عنكِ وعن آدم! فما أدراكِ أنتِ بما يدور في عقل الله؟ فربما لم يكُن الله صالحاً ومُحبَّاً بالصورة التي يُحاول أن يظهر بها أمامكما!»

وبالتالي، فقد كان إبليس يُلمِّح في كلامه إلى أنَّ الله لم يكُن صادقاً تماماً ولا مُستقيماً بكل معنى الكلمة. وهكذا، فقد أظهر الشيطان نفسه بأنه مُهتم بالإنسان ويُريد له الخير والنفع! لكنه في حقيقة الأمر أدخل الشك إلى عقل الإنسان وقلبه بشأن صلاح الله وذلك من خلال أسئلته القائمة على الخداع والضلال.

علاوة على ذلك، قام الشيطان بالمُبالغة في الشيء الذي نهى عنه الله أصلاً. فالله لم يمنع آدم وحوَّاء من الأكل من جميع الشجر؛ بل إنه منعهما من الأكل من شجرة واحدة فقط ألا وهي شجرة معرفة الخير والشر. لكنَّ ذلك السؤال المُبالغ فيه أدَّى إلى الإجابة التي كان الشيطان يرغب في سماعها من حَوَّاء:

«فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا» (تكوين ٣: ٢، ٣)

حاولت حوَّاء أن تُدافع عن الله رغم أنه لا يحتاج لمن يُدافع عنه. وبسبب حماسها، أضافت شيئاً إلى وصيَّة الله. فقد أمرهما الله بأن لا يأكُلا من الشجرة؛ لكنه لم ينهاهُما عن لمسها! ويجب علينا أن نُدرك أنَّ إضافة أجزاءٍ إلى كلمة الله يُشبه حذف أجزاءٍ منها. وما أمهر الشيطان في دفع الناس إلى إضافة أفكارهم الخاصة إلى كلمة الله أو حذف أجزاءٍ منها!

وهكذا، رغم أنَّ الإضافة التي قامت بها حوَّاء كانت ضئيلة جداً، إلاَّ أنها كانت كُلُّ ما يحتاج إليه الشيطان. فقد كانت تلك العبارة الإضافيَّة التي قالتها حوَّاء هي بمثابة شَرْخ صغير في جدار الثقة بين الإنسان وخالقه.

الإنكار

«فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا **وَتَكُونَانِ كَاللهِ** عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تكوين ٣: ٤، ٥)

لم يَكْتَفِ الشيطان بالتشكيك في كلمة الله لأنه كان يُنكرها في الأصل؛ بل كَذَّب الله بكل وقاحة. فقد قال لحوَّاء إنَّ السبب الذي جعل الله يحرمهما هي وآدم من الأكل من الشجرة هو أنَّه يخاف من أن يتعلَّما أكثر ممَّا ينبغي! وهكذا، فقد عمل الشيطان بكل مكرٍ على خلط الحقيقة بالكذب. فقد كان مُصيباً في قوله إنَّ أعينهما ستنفتح وإنهما سيعرفان الخير والشر؛ لكنه كان كاذباً في قوله بأنهما سيكونان مثل الله في كل صفاته. كما أنه كان كاذباً في قوله لحوَّاء بأنهما لن يموتا هي وآدم إن أكلا من تلك الشجرة. وهكذا، فقد كان الشيطان يكذب عن قصد. ورغم أنه كان يعرف من خلال تجربته الشخصيَّة ما هي عواقب عصيان كلمة الله، إلاَّ أنه عمل بكل وقاحة على إغواء الإنسان لكي يدفعه إلى تدمير نفسه بنفسه.

العصيان

«فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ» (تكوين ٣: ٦)

نجح الشيطان في خطَّته وتردَّدت أصداء ضحكاته في جميع أرجاء الجنَّة. وكما هي عادته، فهو لم يبق في الجوار لإصلاح الأضرار التي تَسبَّب بها. يقول الكتاب المقدَّس عن الشيطان:

«... لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ ...» (١ بطرس ٥: ٨)

حينما يلتهم إبليس فريسةً ما فإنه يتركها عظاماً فقط. فرغم أنه يأتي غالباً بحُجَّة المساعدة، وتقديم العون، والمُتعة، والمرح، والأوقات السعيدة؛ إلاَّ أنَّ كُلَّ ما يُقدمه يكون مؤقتاً وفارغاً في أغلب الأحيان. ففي حقيقية الأمر أنَّ الشيطان لا يعرف العطاء أبداً. وحتَّى لو أعطى فإنه لا يُعطي شيئاً سوى المتاعب ووجع القلب والرأس! فهو شرير وقاسٍ في آنٍ واحدٍ.

على مَرِّ السنين، أخذ البعض يلومون المرأة على هذا العصيان الكامل لأمر الله. لكن يبدو أنَّ آدم كان مع حَوَّاء طوال الوقت الذي كانت تتحاور فيه مع الشيطان. وهكذا، فقد كان بإمكان آدم أن يمنع زوجته من الأكل من ثمر تلك الشجرة، أو أن لا يأكل منها هو شخصياً. لكنَّهما أكلا منها هُما الاثنان.

يُمكن تشبيه ما فعله آدم وحوَّاء بالأطفال الذين يلعبون في الشارع خلافاً لما قالته لهم أُمُّهم. فالأم تقول لأبنائها: «لا تلعبوا في الشارع لئلاَّ تتأذُّوا أو تموتوا بسبب السيارات». رغم ذلك فإنَّ الأطفال الصغار يعتقدون أنهم يعرفون كيف يمرحون ويُحافظون على سلامتهم بصورة أفضل من أُمِّهم. وبهذا، فهُم يُثبتون أنهم لا يثقون مُطلقاً بمعرفة أمهم بمعايير السلامة والأمان. كما أنهم لا يحترمون سُلطتها عليهم. وقد أخطأ آدم وحوَّاء بالطريقة نفسها حينما اعتقدا أنهما يعرفان مصلحتهما بصورة أفضل من الله نفسه. وما من شكٍّ

أنَّ خَيارهما كشف عن عدم ثقتهما المُطلقة بخالقهما لأنه دَلَّ على أنهما لم يكونا واثقين بأنَّ الله يقول الحقيقة.

كان آدم وحوَّاء يمتلكان الأسباب الكافية لكي يقولا لإبليس إنه هو الكاذب؛ لكنهما اختارا أن يُصدِّقاه هو عوضاً عن الله. وبهذا، فقد خالفا وصايا الله الواضحة وانضمَّا إلى الصفوف الموالية للشيطان في تمرُّده على الله. ويقول الكتاب المقدَّس:

«... فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلّٰهِ» (يعقوب ٤: ٤)

المقصود بمحبَّة العالم هُنا هو محبَّة النظام الخاطئ والشرِّير الذي أوجده إبليس.

هذه هي النتيجة الطبيعيَّة لاتخاذ المواقف. فقد تخلَّى آدم وحوَّاء عن صداقتهما مع الله وانضمَّا إلى الشيطان. كما أنهما رفضا العالم الكامل ليُجرِّبا عالماً مُحرَّماً.

ماذا عن الأرواح الشرِّيرة، والجِنّ، والسحر الأسود؟

ابتكر الناس في جميع أنحاء العالم طُرقاً لمقاومة قوَّة الأرواح الشرِّيرة. فهناك من يلبسون التعويذات والحُجُب، وهناك من يضعون المعبودات الوثنيَّة في بيوتهم، وهناك من يتناولون جُرعات من مشروبات يُزعَم بأنها سحريَّة، وهناك من يزورون المُنجِّمين والعرَّافين. كذلك، هناك من يذكرون اسم الله أو يتلون بعض الصلوات الخاصة قبل دخولهم إلى البيت أو قبل صعودهم إلى السيَّارة على أمل النجاة من الحوادث. وهناك من يُقدِّمون الذبائح للأرواح الحارسة من أجل طرد الشر.

لكن يجب أن نعلم أنَّ جميع هذه الأفكار هي من البشر وليست من الله. فالكتاب المقدَّس يُعلِّمنا أنَّ الشيطان وأعوانه يمكن أن يقوموا ببعض المُعجزات. لكن رغم أنَّ الأرواح الشرِّيرة قويَّة، إلاَّ أنها ليست كُليَّة القُدرة. لهذا، يجب علينا ألَّا نعيش في خوفٍ من عالم الأرواح إذا كُنا نُصغي إلى الله الذي هو أقوى من جميع الأرواح الشرِّيرة وأشكال السحر الأسود.

«اسْمُ الرَّبِّ بُرْجٌ حَصِينٌ، يَرْكُضُ إِلَيْهِ الصِّدِّيقُ وَيَتَمَنَّعُ» (أمثال ١٨: ١٠)

«... تَقَوَّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ ... الَّذِي بِهِ تَقْتَدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ» (أفسس ٦: ١٠، ١٦)

الصداقة المبتورة

كان لهذا الخَيار نتائج سلبيَّة. فكما رأينا سابقاً، فإنَّ خرق القوانين يؤدي إلى عواقب وخيمة! والكتاب المقدَّس يُعلِّمنا أنَّ عواقب الخطيَّة مُدمِّرة جدَّاً. وقد أدَّى قرار آدم وحوَّاء الخاطئ بأن يتبعا أكاذيب الشيطان إلى إحداث هُوَّة عظيمة بين الله والإنسان. فلا يُمكن لله القُدُّوس أن يسمح بوجود ولاءٍ مُزدوج لدى آدم وحوَّاء، ولا بوجود صداقات غير كاملة، ولا بوجود خيانات جُزئيَّة. فبدونٍ ثقة لاً يُمكن أن تكون هناك علاقة سليمة. وهكذا، فقد انتهت الصداقة التي كانت قائمةً أصلاً بين الله والإنسان.

«لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ ... الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ الشيطان دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ»[٢] (رومية ١: ٢٤، ٢٥)

أوراق التين

«فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. ...» (تكوين ٣: ٧)

أدرك آدم وحوَّاء على الفور أنَّ ثَمَّة شيئاً خاطئاً! فقد شعرا بمشاعر مُزعجة لم يختبراها من قَبل ألا وهي مشاعر الذنب والخزي. وعندها، شعرا أنهما على وشك الانهيار. وتقول كلمة الله إنهما شعرا بالخوف وأحسَّا للمرَّة الأولى بعريهما. وعندها، راح آدم وحوَّاء ينظران من حولهما بحثاً عن حل!

«... فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ» (تكوين ٣: ٧)

يبدو أنَّ آدم وحوَّاء اعتقدا آنذاك أنهما إن قاما بإصلاح شكلهما الخارجي فلن يُلاحظ الله أنهما قد تغيَّرا من الداخل. وهكذا، فقد كانت فكرتهما قائمةً على إصلاح العيوب الخارجيَّة والادِّعاء بأنَّ كل شيءٍ على ما يُرام. وقد كانت هذه هي أوَّل مُحاولة قام بها الإنسان لتصحيح الأمور بنفسه في عالمٍ بدأ يسير في الاتجاه الخاطئ!

كانت هناك مُشكلة واحدة في أوراق التين ألا وهي أنها لم تنجح! فمظهرهما الخارجي لم يُعالج الواقع الداخلي المَرير. فقد زال الكمال عنهما، وأصبحا يُعانيان من مشاعر الذنب، وصارت الدينونة تُلاحقهما.

«وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ» (تكوين ٣: ٨)

ما من أحد يهرب ويختبئ سوى الشخص المُذنب! والمرء لا يختبئ من صديقه! وهكذا، فقد أصبحت هُناك هُوَّة أو فجوة كبيرة تفصل بين الله والإنسان. وباختصار شديد، فقد انتهت الصداقة بينهما.

هل إرضاء الله أمرٌ صعب؟

قد يقول البعض: «لكنَّ تلك الخطيَّة لم تكُن بالشيء الخطير؛ فهي مُجرَّد قَضمة من ثَمَرة!» قد يكون هذا صحيحاً؛ لكنَّ الله لم يضع حجر عثرة كبير في طريق الإنسان. بل في الحقيقة أنه لم يكُن هناك حجر عثرة على الإطلاق. فقد كانت هناك عشرات الأشجار التي يُمكن لآدم وحوَّاء أن يأكلا منها بحُريَّة. وقد كان هذا الاختبار هو أسهل اختبارٍ مُمكن لإظهار أنَّ الإنسان يتمتَّع بإرادة حُرَّة.

والآن لنفترض أنَّ إحدى الفتيات خُطبت لشاب يبدو في نظرها أفضل شابٍّ في العالم كُلِّه. وقد أظهر هذا الشاب محبَّةً حقيقيَّةً من نحوها، وكان يضعها هي واحتياجاتها قبله وقبل احتياجاته، ويُعبِّر لها دائماً عن محبَّته بطُرق كثيرة. ثم ذات يوم تكتشف هذه الفتاة أنَّ هذا الشاب ليس مُخيَّراً في حُبِّه لها؛ بل هو مُبرمجٌ على ذلك. فماذا سيكون شعورها؟ من المؤكَّد أنَّ هذا سيكون خيبة أملٍ فظيعةٍ بالنسبة لها لأنَّ تلك المحبَّة ليست سوى محبَّة مُصطنعة، وبلا معنى، وجوفاء!

لقد أعطى الله الإنسان خياراً بسيطاً يسهُل عليه تطبيقه. لكنَّ هذا الخَيار الوحيد أحدث

فارقاً كبيراً. فالخيار بين أن يأكل أو أن لا يأكل، وأن يُطيع أو أن لا يُطيع، وأن يُحب أو أن لا يُحب هو الذي جعل الإنسان بشراً. فالإنسان لم يكن مخلوقاً آلياً؛ بل كان كائناً قادراً على إظهار محبَّته لله عن طريق إطاعته طوعاً واختياراً.

ورغم أنَّ الاختبار لم يكن بالشيء الخطر في حَدِّ ذاته، إلاَّ أنَّ عصيان الربِّ حتَّى في أصغر الأمور هو الشيء الخطير. فالكتاب المقدس يقول إنَّ الله كامل (فهو قُدُّوس وبار)، وأنه لا يُطيق أصغر الخطايا. كما أنه يذكُر صراحةً أنَّ معصية الله خطيَّة.

٣ . أين أنت؟

نجح الشيطان في خداع آدم وحوَّاء بأن جعلهما يعتقدان أنهما يمكن أن يكونا مُعادلين لله. وقد كان هذا هو الأمر الذي تاق إليه الشيطان نفسه في بادئ الأمر. لكنَّ الله لم يخلق الإنسان لكي يكون محكوماً بغرائزه أو أفكاره. والشيء المهم هنا هو أنه كان ينبغي على آدم وحوَّاء أن يُطيعا الله:

«وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٧)

لكنَّ آدم وحوَّاء أكلا من تلك الشجرة؛ وفجأة تغيَّر كل شيء! فقد حدث ما قاله الله تماماً. وهذا يعني أنَّ كلمة الله لم تتغيَّر .. وأنها لن تتغيَّر أبداً.

«وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ» (تكوين ٣: ٨)

لا يذكُر الكتاب المقدَّس ما هو الشيء الذي كان يجول في فكر آدم وحوَّاء حينما اختبآ في وسط شجر الجنَّة حينما سمعا صوت الله وهو يدنو منهما! لكن إن كنت قد اقترفت خطأً ما أثناء غياب والديك، ثم عادا فجأةً إلى البيت، فلا بُدَّ أنك تعرف حقيقة شعور المرء في مثل هذه المواقف. لكنَّ آدم وحوَّاء لم يُخطئا إلى أبويهما؛ بل عصيا كلام رَبِّ الكون، الله القدُّوس صاحب السيادة والسُّلطان. وبالتالي، ما الذي سيقوله لهما خالقهما ومالكهما؟ وما الذي يمكن للإله القوي والقدير أن يفعله في مثل هذا الموقف؟

«فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟» (تكوين ٣: ٩)

أَطَلَّ آدم وحوَّاء برأسيهما وحاولا أن يَظهرا بمظهر الشخصين البريئين. قال آدم: «هل تبحث عَنَّا يا رَبّ؟»

«سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ» (تكوين ٣: ١٠)

تكلَّم آدم، لكنه أخطأ خطأً فادحاً بأن تغاضى عن حقيقة أنه لم يشعُر بالخوف من قَبل، وأنه لم يكن مُنزعجاً من عُريه قبل أن يأكل من تلك الشجرة. لهذا، أجابه الله قائلاً:

«مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» (تكوين ٣: ١١)

أسئلة، أسئلة!

لماذا كان الله يطرح كل تلك الأسئلة؟ ألم يكُن الله المُطْلَق العلم يعرف أين يختبئ آدم وحوَّاء؟ ألم يكُن يدري لماذا يشعُران بالخجل من عريهما؟ هل كانت معرفة الربِّ محدودةً

حتَّى يسأل المُذنبين ما إذا كانا قد أكلا من الثمرة المُحرَّمة أم لا؟ في الحقيقة أنَّ الله كان يعرف ما حدث بالتفصيل؛ لكنه كان يطرح الأسئلة لكي يُساعد آدم وحوَّاء على فهم ما حدث بالضبط. فقد عصيا الربَّ ووضعا ثقتهما في الشيطان عوضاً عن الله!

أثناء قراءتك للكتاب المقدَّس، سوف تُلاحظ أنَّ الله يطرح الأسئلة على الإنسان لكي يساعده على رؤية الأمور بوضوح.

هل كان الله هو السبب؟

كانت أسئلة الله بمثابة فُرصة لآدم وحوَّاء لكي يعترفا بخطيئتهما من تلقاء نفسيهما.

«قَالَ آدَمُ: 'الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ'» (تكوين ٣: ١٢)

وأخيراً اعترف آدم أنه أكل من ثمر تلك الشجرة؛ لكنه لم يفعل ذلك إلاَّ لأنَّ تلك المرأة التي خلقها الله هي التي أعطته ليأكل! وهكذا، يبدو أنَّ آدم كان يشعُر بأنه ضحيَّة، وأنَّ الله هو السبب في نهاية المطاف. فلو لم يخلق الله المرأة، لما أعطته من ثمر تلك الشجرة ولما أكل منها. وبالتالي، فقد وضع آدم اللَّوم كله على الله فيما يتعلَّق بخطيئته تلك!

«فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: 'مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟' فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: 'الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ'» (تكوين ٣: ١٣)

تصرَّفت حوَّاء بالطريقة نفسها حيث ألقت اللَّوم على الحيَّة. وقد كان قصد حوَّاء من هذا الكلام هو أنه لو لم يخلق الله الحيَّة لما أخطأت هي أيضاً.

لكن في حقيقة الأمر أنَّ آدم وحوَّاء اختارا أن يُخطئا بكامل إرادتهما. كذلك، فقد أعطاهما الله فرصةً للاعتراف بخطيئتهما؛ لكنهما أخفقا في هذا الأمر أيضاً حيث أنهما رفضا الاعتراف بذنبهما!

أقوال آدم وحوَّاء:	ماذا كان ينبغي عليهما أن يقولا:
آدم: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ».	«لقد خذلتك يا رب بصورة مُشينة، وعصيت وصاياك المُباشرة لي بأن لا آكل من ثمر تلك الشجرة. لقد أخطأت. أرجوك أن تُسامحني!»
حوَّاء: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ».	«يا رب، لقد أخطأت أنا أيضاً بأن عصيت وصيَّتك. أرجوك أن تقول لي كيف يمكن لعلاقتنا أن ترجع إلى سابق عهدها!»
عقلية الضحية. إلقـاء اللوم على الآخرين	تحمُّل المرء مسئوليَّة أفعاله. سؤال الله عن الحل لاستعادة العلاقة.

لقد أخطأ آدم وحوَّاء معاً. وها هُما الآن يتكلَّمان بطريقة خاطئة أيضاً. فقد كان ينبغي أن يقودهما شعورها بالذنب والخزي إلى الاعتراف بخطيئتهما أمام الله. لكن عوضاً عن ذلك، فقد تضاعفت خطيئتهما بسبب رفضهما لتحمُّل المسئوليَّة عن خطيئتهما. رغم ذلك فإنَّ الله لم يُهلكهما. فلو كُنَّا نحن القُضاة وهيئة المُحلَّفين والجلاَّدين لأصدرنا حُكمنا عليهما وأمرنا بإعدامهما على الفور. لكنَّ رحمة الله تفوق إدراكنا وتصوُّرنا.

الوعد

كان لهذه الخطيئة الأولى عواقب وخيمة للغاية على بقية الجنس البشري. وكما سنرى لاحقاً، فقد كان آدم وحوَّاء نائبين عن الجنس البشري بأكمله. لهذا، فقد تسبَّبت خطيئتهما باللَّعنة على كل الجنس البشري. لكنَّ الله قطع لهُما وعداً من مُنطلق محبَّته لهما:

«فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: 'لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا ... أَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ'»

(تكوين ٣: ١٤، ١٥)

تستحق هذه الجُمَل نظرة فاحصة. فالله لم يكُن يتكلَّم عن أنَّه ستكون هناك عداوة بين النساء والحيَّات. بل إنَّ لهذا الوعد وجهين اثنين:

إبليس وأعوانه	المرأة وابنها الذَكَر
فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ **لِلْحَيَّةِ**: «**لأَنَّكِ** فَعَلْتِ هذَا ...	
أَضَعُ عَدَاوَةً **بَيْنَكِ**	وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ
نَسْلِكِ	**وَنَسْلِهَا**.
	هُوَ يَسْحَقُ
رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ	**عَقِبَه**».

كان الربُّ الإله يعني بقوله هذا إنه سيُخلِّص الإنسان من الشيطان في يوم ما. فسوف يكون هناك مولودٌ ذَكَر، يولد من المرأة ويسحق رأس الشيطان – أي أنه سيوجِّه له ضربة قاضية. كذلك، سوف يجرح الشيطان هذا الطفل؛ لكنَّ الضربة ستكون على العَقِب فقط؛ أي أنها ستكون إصابة مؤقتة يتعافى منها ذلك الطفل.

كان هذا هو أوَّل وعد سيتحقَّق من بين وعود كثيرة تتعلَّق بهذا المولود الذي ستلده حوَّاء. وسوف يُعرَف هذا الطفل الذَكَر بأنه «المُخلِّص المَوعود» وذلك بسبب المهمَّة الخاصَّة التي سيوكلها إليه الله. وكانت هذه المهمَّة التي أعَدَّها الله لهذا الطفل المُختار هي أن يُحرِّر البشرية ويُخلِّصها من عواقب الخطيَّة ومن قوَّة الشيطان. ومن المؤكَّد أنَّ هذا كان خبراً سارَّاً جداً لآدم وحوَّاء.

«... أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ. الْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ»

(إشعياء ٤٥: ٢١، ٢٢)

لعنة

كما رأينا سابقاً، فإنَّ للخطيَّة عواقب وخيمة دائماً. فكما أنَّ مُخالفة قانون الجاذبيَّة تؤدي إلى كسر العظام، فإنَّ مُخالفة كلمة الله لها عواقبها هي الأخرى. فلم يكُن باستطاعة الله أن يتغاضى عن خطيئة آدم وحوَّاء، ولم يكُن بمقدوره أن يقول لهما: «أريدكما أن تنسيا ما حدث»، أو «أنا أعلم أنكما لم تقصدا ذلك»، أو «سوف نتصرَّف وكأن شيئاً لم يحدُث»، أو «لقد كانت تلك خطيئة واحدة صغيرة فقط». لا يا صديقي، فقد كان الضرر قد وقع بالفعل، وكان آدم وحوَّاء مُذنبين. لقد أدَّت خطيئة واحدة إلى جلب دينونة الله عليهما. كما أنَّ

هذه الخطيئة سبَّبت لهما الخوف والخزي، وأدَّت إلى مزيد من الخطايا. لهذا فإنَّ الأرض وكل ما عليها يعانون من اللَّعنة التي لحقت بالحيوانات البرِّيَّة، والبحريَّة، والطيور، وحتَّى الأرض نفسها. وهكذا، لم تعُد الخليقة كاملة. ونتيجة لهذه اللَّعنة، يقول الكتاب المقدَّس:

«... كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ ...» (رومية ٨: ٢٢)

وهكذا، كانت نتيجة تلك الخطيئة هي أنَّ الإنسان يأتي إلى هذا العالم بألم الولادة ويُغادرها بألم الموت. كما أنَّ حياة الإنسان أصبحت معجونة بالظُلم، والتعب، والشقاء. فقد قال الله لآدم:

«... لأَنَّكَ ... أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تكوين ٣: ١٧-١٩)

وسواء كان الشوك والحَسَك المذكورين هنا حقيقيَّين أم رمزيَّين، فهُما سيجعلان حياة الإنسان مليئة بالألم والشقاء. وهكذا، فقد بدأ الإنسان في اختبار الأحزان. لكن يجب أن نُدرك أنَّ أكثر العواقب مرارةً لخطيئة آدم وحوَّاء هو الشيء الذي حَذَّرهما الله منه من قَبل ... الموت!

٤ . الموت

«وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»

(تكوين ٢: ١٦، ١٧)

حينما اختار آدم وحوَّاء أن يتحديا تحذير الله، فقد كان هذا يعني عمليًّاً أنهما يُخضعاه للاختبار لكي يريا ما إذا كان سيلتزم بما قاله أم لا! فهل كان الله يعني ما قاله للإنسان بالفعل؟ هل سيموت الإنسان؟ أم أنَّ ما قاله الله كان مُجرَّد تهديدات جوفاء؟ إن أردنا إجابةً واضحةً عن هذه الأسئلة فسوف نجدها في كلمة الله:

«وَلكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ أو كلمة الله»

(لوقا ١٦: ١٧)

نحن لا نُحب أن نتحدَّث عن الموت؛ فهو من الموضوعات التي تُنذر بالشؤم! لقد سافرت إلى جميع أنحاء العالم وزُرت أناساً يسكنون في أقصى بقاع الأرض فلم أجد جماعةً واحدةً من الناس تستمتع بالموت. كما أنني وقفت بجانب الكثير من القبور في أماكن عديدة من العالم فوجدت أنها تشترك جميعها بقاسم مُشترك واحد ألا وهو الحُزن. فالحُزن مدموغٌ في النفس البشريَّة لكي يُذكِّر الإنسان دوماً بأنَّ الموت يعني شيئاً واحداً ألا وهو: الانفصال. فحينما يُغادر أحبَّاؤنا هذه الحياة فهُم لا يرجعون أبداً. وهذا الشعور بالخسارة والانفصال (الذي نشعر به عند موت أحد الأحبَّاء) هو الذي يُقرِّبُنا من المعنى الحقيقي لكلمة «موت»

بحسب تعريف كلمة الله لها. فالموت بحسب كلمة الله لا يعني الفناء أو عدم الوجود؛ بل يعني «الانفصال».

لكن يجب علينا أن لا نفصل الموت عن مصدره الرئيسي الذي هو: الخطيَّة. فالكتاب المقدس يقول عن الموت إنه «أُجْرَة الخطيَّة»:

«لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ. ...» (رومية ٦: ٢٣)

وقد يُفيدنا أن نَعلم أنَّ الكتاب المقدَّس يُشير إلى الموت بطُرق مُختلفة؛ وفيما يلي ثلاثاً منها:

١. موت العلاقة (انفصال روح الإنسان عن الله)

لقد أعطى الله وصيَّة واحدة فقط لآدم وحوَّاء لكي يُطيعاه فيها. وحينما كانا مُطيعين له، كان كل شيء يسير على ما يُرام، وكانت حياتهما آمنة ومُطمئنَّة. لكن حينما تعدَّيا على وصيَّة الله، كانت هناك عواقب وخيمة لهذا العصيان. فالله لا يسمح بوجود وَلاءات مُزدوجة. كما أنه لا يُمكن أن تكون هناك علاقة أو شَرِكَة بين الله والإنسان بدون ثقة. وقد أدَّى الخَيار الذي اتخذه آدم وحوَّاء (بأن يُصدِّقا أكاذيب إبليس) إلى إحداث هُوَّة عميقة في العلاقة بين الله والإنسان. وهكذا، فقد انتهت الصداقة بينهما.

لكنَّ العواقب لم تتوقَّف عند هذا الحَدِّ فقط؛ بل إنَّ جميع الناس الذين جاءوا إلى هذا العالم بعد تلك الخطيئة الأصليَّة (من أبناء آدم فصاعداً) هُم أشخاص مُنفصلون عن الله!

وهكذا، فقد انتهت الصداقة بين الله والإنسان بصورة قطعيَّة. ورغم أنَّنا نعيش بأجسادنا، إلاَّ أنَّ الله ينظر إلينا جميعاً باعتبارنا:

«... أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا» (أفسس ٢: ١)

هناك نقطة هامَّة هنا يجب أن لا تفوتنا، وأرجو أن تسمح لي بتوضيح هذه النقطة من خلال المثال الحيِّ التالي. لقد قضيت سنوات طويلة من حياتي في البلدان الاستوائيَّة. وقد عشت أنا وعائلتي لفترة من الوقت في منزل قائم على قوائم خشبيَّة مُنخفضة. وفي أحد الأيَّام، تسلَّل جرذ كبير إلى منطقة ضيِّقة أسفل البيت ومات هناك! وللأسف الشديد، كانت تلك المنطقة الضيِّقة واقعة أسفل غرفة نومنا أنا وزوجتي. اعتقدنا في بادئ الأمر أنه ما من خَيار آخر أمامنا سوى أن نترك جُثَّة ذلك الجرذ إلى أن تتحلَّل؛ لكنَّ الجثَّة المُتعفِّنة أطلقت رائحة كريهة جداً إلى غرفة نومنا بسبب الجو الحار والرطب لدرجة أننا لم نعُد قادرين على النوم. وهكذا، فقد اضطررنا للهرب من تلك الغرفة والنوم في غرفة أخرى.

في صباح اليوم التالي، تطوَّع ابننا «آندرو» لمعالجة الأمر بأن أحضر عصا طويلة، وزحف أسفل المنزل، وسحب الجرذ الميِّت ببطء إلى الخارج. وحينما نظر آندرو بتمعُّن إلى الجرذ رجع إلى الوراء وقال باشمئزاز: «أبي، إنَّ الجرذ مليء بالديدان!» ويا له من منظر مُقزِّز بالفعل! أحضر آندرو كيساً بلاستيكيًّاً ولَفَّه حول يده، ثم أمسك ببقايا ذلك الجرذ المُتعفِّن من ذيله وركض به باتجاه الغابة المُحيطة بمنزلنا وألقاه إلى أبعد مسافة مُمكنة.

لو كان باستطاعة ذلك الجرذ أن يقرأ أفكار آندرو وهو يرميه بعيداً في الغابة لسمعه يقول: «اخرج من هنا!» ولو كان بمقدور الجرذ أن يتكلَّم لقال: «إلى متى؟» ولكان آندرو أجابه قائلاً: «إلى الأبد!»

في الحقيقة أنَّ ذلك الجرذ الميِّت يُوضِّح لنا أمرين بشأن موقف الله من الخطيَّة:

- الأمر الأوَّل: كما أنَّ ذلك الجرذ الميِّت أرغمنا أنا وزوجتي على النوم في غرفة أخرى، وكما أنَّ آندرو ألقى بالجرذ الميِّت بعيداً عنه، كذلك فقد ابتعد الله عن الإنسان الخاطئ. فالكتاب المقدَّس يقول:

«بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ ...» (إشعياء ٥٩: ٢)

أسمع البعض يقولون أحياناً إنَّ الله يبدو بعيداً جداً عنهم. وبالفعل فإنَّ الكتاب المقدَّس يقول إنَّ الإنسان أصبح غريباً عن الله:

«وَأَنْتُمُ ... كُنْتُمْ ... أَجْنَبِيِّينَ عن الله ...» (كولوسي ١: ٢١)

إنَّ القداسة تقتضي عدم وجود أي أثر للخطيَّة. أتذكَّر كيف أننا قُلنا إنَّ كلمة الله تُشَبِّه الخطيَّة بالشيء الفاسد أو المُتعفِّن؟ فالخطيَّة في نظر الله هي مثل الجرذ المُتعفِّن في نظرنا. وكما أنَّ النوم بجوار تلك الجُثَّة المُتعفِّنة لم يكن بالأمر الطبيعي لي ولزوجتي، فليس من الطبيعي لإلهنا القدُّوس الكامل أن يسمح بوجود أي خطيَّة في محضره:

«عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ...»

(حبقوق ١: ١٣)

وهكذا، فإنَّ الخطيَّة تُشبه قطرة سم في كأس ماء نقي. فقطرة السم الصغيرة هذه تكفي لتلويث الكأس بأكملها. وبما أنَّ الخطيَّة موجودة في حياة كل شخص، فقد ابتعد الله عن جميع البشر.

- هذا يقودنا إلى الأمر الثاني الذي يُوضِّحه لنا الجرذ الميِّت. إلى متى يشعر الله أننا يجب أن نبقى مُنفصلين عنه بسبب خطايانا؟ الجواب واضح تماماً: إلى الأبد! فالخطيَّة لها تأثيرات سلبيَّة كثيرة جداً ودائمة. وكما أنَّنا لا نُحب أن نعيش مع جرذ مَيِّت لأيِّ فترة زمنيَّة، فإنَّ الله لا يسمح للخطيَّة بالتواجُد في محضره.

قد تكون الحقيقة مؤلمة لك عزيزي القارئ. رغم ذلك، تابع القراءة في هذا الكتاب ولا تيأس لأنَّ الصفحات اللاحقة ستحمل لك خبراً سارَّاً. أمَّا النقطة التي ينبغي عليك أن تفهمها الآن فهي أنه حينما يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن أنَّ علاقة الإنسان بالله قد انقطعت فإنه يتحدَّث بحزم ويقين؛ فالعلاقة انتهت بالفعل!

٢. موت الجسد (انفصال روح الإنسان عن جسده)

إنَّ فكرة الموت الجسدي ليست بالأمر الذي يصعُب علينا فهمه؛ بل نحن نعرف هذا الموت تمام المعرفة. وهناك أمر آخر ينبغي علينا أن نفهمه فيما يتعلَّق بآدم وحوَّاء.

حينما تقطع غصناً مورقاً من شجرة، فإنَّ الأوراق لا تذبل وتسقط على الفور. وبالطريقة نفسها، حينما قال الله لآدم «... لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»، فهو لم يقصد بذلك أنَّ آدم سيسقط على الأرض ميِّتاً حال تناوله من ثمر تلك الشجرة. بل كان قصد الله أنَّ آدم سينقطع عن مصدر حياته (أي: الله)، وأنَّ جسده سيتعب شيئاً فشيئاً مع تقدُّم العُمر إلى أن يتوقف عن أداء وظائفه ويموت ويرجع إلى التُراب الذي خُلق منه في الأصل، فالأجساد:

«... تَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا تَعُودُ» (المزمور ١٠٤: ٢٩)

والشيء الذي تُعلِّمنا إيَّاه كلمة الله هو أنه رغم أنَّ أجساد البشر تموت، إلاَّ أنَّ أرواحهم لا تموت.

٣. موت الفرح المُستقبليّ – الموت الثاني
(انفصال روح الإنسان عن الله إلى الأبد)

يقول لنا الكتاب المقدَّس إنَّ الله قد أعَدَّ لنا مكاناً رائعاً نبقى فيه بعد موتنا يُدعى «السَّماء». والسَّماء هي مكان جميل جداً صَمَّمه الله لفرح الإنسان في المُستقبل. وسوف تكون الحياة الأبديَّة المُفعمة بالفرح جُزءاً من خطَّة الله لنا. ويكفينا أننا سنتحرَّر من الخطيَّة، والمُعاناة، والموت في ذلك المكان.

لكن كما أنه توجد حياة أبديَّة، هناك موت أبدي أيضاً. وحينما يستخدم الكتاب المقدَّس كلمة «موت» فإنه يُشير أحياناً إلى الموت عن خطَّة الله الأصليَّة للإنسان. ويُسمَّى هذا الموت أيضاً «الموت الثاني» رُبَّما لأنه يحدث بعد الموت الجسدي. وهذا الموت مُعَدّ للأشخاص الذين لن يعيشوا في العالم الكامل الذي سيأتي. ويقول الكتاب المقدَّس إنه عوضاً عن أن يذهب هؤلاء إلى السَّماء، سوف يذهبون إلى بُحيرة النار؛ وهي مكان مُريع أعَدَّه الله خصِّيصاً لمعاقبة الشيطان وأعوانه.

«... بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي» (رؤيا ٢٠: ١٤)

يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن طرح الإنسان حيَّاً في بُحيرة النار المُتَّقدة بالكبريت (انظر رؤيا ١٩: ٢٠؛ فرغم أنَّ الجسد المادي يموت، إلاَّ أنَّ الروح لا تموت)، وعن أنَّ العذاب فيها سيستمر نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين (انظر رؤيا ٢٠: ١٠) وسوف يكون ذلك المكان مليئاً بالضيق والحُزن (المزمور ١١٦: ٣) كما يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن أنه سيكون هناك دود (مرقس ٩: ٤٨)، وظُلمة شديدة، وبُكاء، وصرير أسنان (مَتَّى ٨: ١٢؛ ٢٢: ١٣؛ ٢٥: ٣٠)، وكَرب فظيع، وعطش شديد (لوقا ١٦: ٢٤)، وندم لا يوصف. وهكذا، سوف يكون ذلك المكان موضعاً للوحدة والمُعاناة وليس مكاناً للاحتفال والتمتُّع مع الرفاق.

«وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي» (رؤيا ٢١: ٨)

ما من شكٍّ أنَّ هذه ليست أخباراً سارَّةً على الإطلاق. لهذا، تابع القراءة لتصل إلى الخبر السار!

طبيعة خاطئة
سَرَت الخطيَّة والموت في دَمِّ آدم وانتقلا منه عبر الأجيال. فالأشياء تُنتج أشياءً شبيهةً بها: شجرة التفاح تثمر تفاحاً، والقطط تَلد قططاً، والرجل الخاطئ يُنجب أبناءً خُطاةً.

«مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ»

(رومية ٥: ١٢)

فبسبب خطيَّة آدم، ورث جميع نسله طبيعته الخاطئة. وبما أنه مات، فسوف يموت جميع نسله أيضاً.[٢]

حينما نسمع كلمة «خاطئ» فإنَّ أوَّل شيءٍ يتبادر لأذهاننا هو أنَّ هذا الشخص اقترف العديد من الجرائم. لكنَّ الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن الخطيَّة بمفهوم آخر. فالإنسان يمتلك طبيعة خاطئة تُسمَّى عادةً «طبيعة آدم». وهذه الطبيعة هي حالة لها أعراض. فعلى سبيل المثال، قال الطبيب لصديقٍ لي إنَّ حالة قلبه ليست على ما يُرام. وقد كشفت تلك الحالة عن نفسها من خلال مجموعة من الأعراض. فحين يصعد صديقي السلالم فإنه يلهث كثيراً ويتغيَّر لون وجهه. لهذا، فقد أعطاه الطبيب دواءً يضع منه حبَّة تحت لسانه لمنع تجلُّط الدم. وبالطريقة نفسها، يمكن القول إنَّ كل إنسانٍ يُعاني من حالة مَرَضيَّة تُسمَّى «الطبيعة الخاطئة». أمَّا أعراض هذه الحالة فهي الأعمال الخاطئة.

إله أمين

رُغم أنَّ هذا الحديث عن الخطيَّة والموت يجلب البؤس والكآبة، إلاَّ أنه يجب أن يُذكِّرنا بأنَّ الله لا يُلبس الأشياء القبيحة أقنعةً جميلةً؛ بل هو يقول لنا الحقيقة كما هي. ويجب أن نُدرك أنَّ البشر جميعاً يشتركون في الخطيَّة والموت. كما يجب علينا أن نعرف ما الذي تقوله كلمة الله عن هذين الأمرين. وإن كُنَّا على يقين بأنَّ الله كامل وصالح فيجب أن لا نتوقع منه شيئاً سوى الحقيقة.

هل نولد بطبيعة طاهرة ونقيَّة؟

يعتقد الكثيرون أنَّ الأطفال يولدون في حالة من الكمال وأنهم يكونون في طفولتهم خالين من الخطيَّة. لكن ما الذي يقوله الكتاب المقدَّس بهذا الشأن؟ هل نولد بطبيعة طاهرة ونقيَّة حقَّاً؟

بحسب ما قاله النبي داود، يبدو أنَّ الإجابة هي: «لا»!

«هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي» (المزمور ٥١: ٥)

كما أنَّ النبي أيُّوب يُقدِّم لنا الإجابة نفسها في السفر الذي يحمل اسمه في الكتاب المقدَّس:

«مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لاَ أَحَدٌ!» (أيُّوب ١٤: ٤)

وهذه هي نفس الإجابة التي نعرفها كلنا من واقع خبرتنا الحياتيَّة:

«مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟» (يعقوب ٤: ١)

لهذا، ربما يتعيَّن علينا أن نطرح بعض الأسئلة الصعبة على أنفسنا. هل تعلَّمنا الكذب، والعصيان، والأنانيَّة، وروح الخصام من آبائنا وأمَّهاتنا؟ لا. فالطبيعة البشريَّة لا تحتاج لمن يُعلِّمها على اقتراف الخطايا. فنحن نفعل هذه الأشياء بصورة تلقائيَّة.

ويمكن تشبيه الخطيَّة بالمرض المُعدي. فالكتاب المقدس يقول إنَّ الطبيعة الخاطئة لآدم انتقلت إلينا جميعاً مع كل أعراضها وعواقبها.

وهناك العديد من الأمثال الشعبيَّة لدى قبيلة «الولوف» السنغاليَّة في غرب إفريقيا تُمثِّل هذه الحقيقة الرئيسيَّة:

- «الوباء الخطير لا يضُرُّ صاحبه فقط».

- «الغزال الوثَّاب لا يُنجب غزلاناً تزحف على بطونها».
- «الفأر لا يلد فئراناً لا تعرف كيف تحفر الجُحور».
- «الخشبة العائمة فوق سطح الماء لن تصبح تمساحاً حتَّى بعد سنوات طويلة».

وهكذا، حيث أنَّ آدم أخطأ، فقد ورث جميع أبنائه طبيعته الخاطئة.

ما الذي اكتشفه عُلماء الجينات الوراثيَّة؟

«رغم أنَّ البشر يختلفون في أشكالهم الخارجيَّة، إلاَّ أننا نُدرك أنهم أعضاء في كيان واحد. فهناك نوع من الأُخوَّة البيولوجيَّة التي هي أعمق بكثير مِمَّا نتصوَّر». هذا هو ما قاله «جاي غولد» (عالم الإحاثة في جامعة هارفارد، وكاتب مقالات) في مقال افتتاحي نُشر عام ١٩٨٨ في مجلة نيوزويك بعنوان «البحث عن آدم وحوَّاء».[٤]

يقول كاتب المقال إنَّ بعض العُلماء «المُتخصِّصين في علم الأحياء الجُزيئي ... فحصوا مجموعة كبيرة من الجينات المأخوذة من مناطق مختلفة من العالم فوجدوا مساراً من الحمض النووي (د. ن. أ) قادهم إلى امرأة واحدة انحدرنا منها جميعنا». ... «وحتَّى أنهم لم يعثروا على فروق تُذكَر بين الأجناس».

والكتاب المقدَّس يقول:

«وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ 'حَوَّاءَ' لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ» (تكوين ٣: ٢٠)

في عام ١٩٩٥، نشرت مجلَّة التايم [٥] مقالاً قصيراً يقول إنَّه يوجد دليل علمي على «أنه يوجد جَدّ أوَّل ترك بصمته الوراثيَّة على جميع بني البشر الذين عاشوا على سطح هذه الأرض».

والكتاب المقدَّس يقول:

«وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ ...» (أعمال ١٧: ٢٦)

كانت نتيجة هذه الدراسات عن الحمض النووي لدى البشر هي أنَّنا نرجع في أصلنا جميعاً إلى أب واحد وأم واحدة. ورغم أنَّ بعض العُلماء يوافقون على هذه النظريَّة، إلاَّ أنَّ بعضهم الآخر يرفضونها. وهناك من يوافقون على هذه النظريَّة لكنهم يُشيرون إلى احتمال أن لا يكون هذا الرجل وهذه المرأة هما آدم وحوَّاء المذكورين في الكتاب المقدَّس. لكن بصرف النظر عمَّا يقوله هؤلاء العلماء، إلاَّ أنه من المثير أن نلاحظ أنَّ نتائج أبحاثهم ودراساتهم تتوافق مع ما تقوله كلمة الله.

إنَّ هذه الاكتشافات وغيرها من اكتشافات علم الأحياء الجُزيئي تُؤكِّد ما قاله الكتاب المقدَّس منذ آلاف السنين بأننا نرجع جميعنا إلى أبٍ واحدٍ.